الوحدة الوطنية ودمى الحكم في لبنان

بقلم يوسف أمين

كلما هز تحرّك شعبي، أو كاد، ركاب الاحتلال في لبنان سارعت دمى الحكم وأدوات الاحتلال إلى التهديد بالوحدة الوطنية، وكأن هذه الوحدة لا تقوم إلا على دوام الاحتلال. وأي وطن هو هذا الذي لا يبقيه ولا يوحّده سوى سيف الاحتلال؟

الحكم المعيّن في لبنان يخاف كل ما هو لبناني لأنه لا يمثل اللبنانيين وتطلعاتهم.

الحكم الدمية في لبنان يخاف مواجهة الناس في مشاكلهم اليومية، فهو لا يجرؤ على القول للمزارعين بأن منافسة البضائع السورية هي التي تكسد بضاعتهم، ويخاف أن يقول لأصحاب المصانع بأن تدفّق المنتجات السورية هي التي تغرق الأسواق وتضطرهم لإغلاق مصانعهم، ويتجنب الحديث عن المليون عامل وأكثر الذين يسرقون لقمة الفقير كل يوم ويذهبون بها إلى سورية "الشقيقة" ليطعموا بها أفواه الجياع هناك فنتساوى بهم في الجوع هنا في لبنان.

النظام السوري لم يستطع أن يقدّم لمواطنيه سوى الحقد والبغض، لم يستطع أن يشغل الناس سوى بالتجسس على بعضهم، ولذا فهو غير قادر إلا على زرع الحقد والفتن بين الناس ليكون هو البديل وعنصر التهدئة. ولكننا نقول بأن هذه الأمور لم تعد تنطوي على أحد، وأن مقولة محاربة إسرائيل ستنتهي، ومهما عمل "الدمى" وأسيادهم فلن يستطيعوا بعد اليوم أن يشغلوا الناس ب" إسرائيل وأطماعها التوسعية" كما أن مقولة الوحدة الوطنية التي يحاولون التخفّي ورائها لم تعد حجّة تنطلي على أحد. فأين الوحدة الوطنية يا من يدّعون زعامة لبنان؟ وأين مصلحة لبنان يا من يتبجّحون اليوم بأنهم حرروا الجنوب من إسرائيل ولا يستطيعون أن يتعهّدوا بتسلّم المسؤولية فيه والمحافظة على سكانه وعمرانه؟ فأبناء الجنوب تمكنوا من البقاء في أرضهم والدفاع عنها يوم هربت الدولة تحت ضغط الإرهاب الفلسطيني، وها هم، وقد حافظوا على علم بلادهم مرفوعا وعلى كرامة أهلهم مصانة، يطالبون الدولة بتحمّل مسؤولياتها دون سواها. فأين هي هذه الدولة؟

الوحدة الوطنية لا تكون بفعل الاحتلال ودوامه. الوحدة الوطنية لا تكون بقهر الشعب وتجويعه ليرضى المحتل. الوحدة الوطنية إما أن تكون سلاحا في وجه كل طامع غريب محتل يفرض سلطته على الشعب بالحديد والنار وبالتهويل والوعيد، وإما لا تكون. فما نفع أن نتوحّد للقبول بالذل، وتهديم بيوتنا، وتشريد أهلنا في مشارق الأرض ومغاربها، وسجن زعمائنا أو قتلهم أو نفي من يتجرأ على الكلام منهم ضد الاحتلال وأدواته؟ فتهديد الشعب الدائم بالخوف على الوحدة الوطنية، والتهويل على الناس بالأحزاب والقوى الإرهابية ليسكت المعتدلون أصحاب البلاد ويقبلوا بالذل، هو شأن المحتل قريبا كان أم بعيدا، وكتب التاريخ تحفل بالأمثلة. أما

الشعوب الحرة فهي التي لا تحسب حسابا لهؤلاء، ولا تسكت على الضيم، وتوحدها المعاناة المشتركة التي يفرضها هذا الاحتلال . ويوم يقوم الناس ضد المحتلين سوف لن يبقى بيت في لبنان إلا ويخرج منه مناضل حقيقي، وسوف لن يبقى في لبنان خونة مأجورون وعملاء يتسترون بأسماء وشعارات لا تخدم سوى الاستعمار الجديد الذي يفرض التخلف والرجعية ويصنف الناس درجات وطبقات في عصر "القرية العالمية" التي لم يعد فيها غريب ولا جاهل. فيا أيها الخائفون على الوحدة الوطنية، ويا أيها المهولون بها، لا تخافوا، فالوحدة الحقيقية سوف تصبح واقعا يوم يثور الشعب كل الشعب، في صور وصيدا، في طرابلس وزحلة، في زغرتا وبيت مري، في بعلبك وبكفيا وفي بتغرين وبعقلين وديرالقمر، يثورون على جيش الاحتلال وعملائه، على عيونه وأجهزته، على الدمى التي يحركها والقوى التي تقمع الأهل، وسوف يقف الشيخ مع الكاهن، ويشمر السيد عن ساعديه ويمسك يد العاقل لينطلقوا كلهم صفا واحدا يبهرون العالم بالوحدة الوطنية الحقة في رفض الانكسار والذل والتبعية التي أعادتنا إلى غياهب التاريخ، ومزقت قرانا وبيوتنا، وقتلت أهلنا وزعماءنا، وسرقت منا مهاراتنا وتفردنا، وفرضت علينا الانعزال والخوف، والتقوقع والانتظار، وكأن البلاد يحررها الجبن، والاستقلال والسيادة يمنحان بالاستجداء .

أيها اللبنانيون لا تخافوا منهم، فلقد خسرنا حتى الآن كل شيء وكاد الوطن أن يصبح في خبر كان، فلا حكم عندنا يستطيع أن يبت في أمر، وقد أضحكنا العالم عدة مرات بالتصريح والتراجع عنه، وفقدنا مقومات الدولة في السيادة والاستقلال وفي الاقتصاد والتوازن، وضيعنا الحرية التي كانت دوما ملازمة للبنان في أشد العصور قهرا، وبتنا وكأننا قصر لا نعرف أن نأخذ القرار، ولا نجرؤ على إبداء الرأي، وكلما تكلم منا أحد سارعوا إلى غلق فمه بالتهديد والوعيد، بالسجن والتنكيل للشباب المتحمس، وبالخوف على الوحدة الوطنية للرموز الكبيرة التي لم تزل تمتلك بعضا من الشجاعة على الكلام. ولكننا نقول إن تهديدهم لن ينجح في وقف المسيرة ولا تعنتهم سيحول دون اندفاع السيل العارم سيل الشعب الواعي الذي يعرف أن اللعب على الوحدة والتهديد بالانقسام لم يكونا إلا أدوات المحتل وأسلحته التي لم تعد تجدي نفعا لأنه هو سيكون هدف الناس المقهورين هذه المرة والويل له ولمن سيقف بدرب الشعب فقد قيلت وتحققت دوما وفي كل لغات الأرض أن:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

فوحدتنا سوف تكون بنضالنا وتحرير بلدنا هو المحك وإن توصلنا لذلك فأهلا بنا في مجالس العالم الحر وإلا فمحدلة التاريخ لن ترحم وسوف تمر على الغزاة شئنا أم أبينا وإن غدا لناظره قريب .

المنطقة الحدودية/ جنوب لبنان ٢٠٠٠/٥/١